**أسباب الثورات.**

**تراجع الانتعاش الاقتصادي في القرن 18م:**

كان الغزو البحري (القرصنة) هو ممول الاقتصاد الجزائري، هذا ما أكده القنصل لومير M.Lemaire في رسالة مؤرخة في 4 رمضان 1146ه/7 فبراير 1734م، ذكر أن الجزائر لم يكن حظها جيدا مع القرصنة، فبدأ السكان يجوعون، ما يمكن أن يؤدي إلى بعض الاضطرابات.

)H.D.Grammont: Correspondance des consuls d’Alger, in Rev.Afr, 1888, OPU, Alger, 1985, p 314.(

إن كثرة الغارات الأوروبية على سواحل الجزائر انجرَ عنها حالة حرب في معظم الأوقات، واتخذت القيادة العسكرية ذلك وسيلة لفرض المزيد من الضرائب على السكان الذين أرهقتهم واضطرتهم للعصيان والتمرد. والسياسة الضريبية التي اتبعها حكام الجزائر كانت من الأسباب الداخلية للثورات. إذ كانت عمليات الجباية لا تتم إلا بواسطة الحملات العسكرية، وكان تأثير ذلك سلبيا على الحياة الاقتصادية للجزائريين، فقد أصيبت بالركود والإفلاس. وتشهد الأشعار الشعبية عن مدى ما كان يقاسيه الجزائري جراء ثقل الضرائب وكثرتها، كما أن الحكام العثمانيين لم يساهموا في تنشيط الاقتصاد.

**غياب الاستقرار السياسي الذي شهده القرن 18م:**

من الأسباب الداخلية، كان الاستبداد أبرز سمات المظهر العسكري للوجود العثماني بالجزائر، والنظام السياسي العام كان نظاما جمهوريا عسكريا مغلقا، لكن انتقال السلطة من حاكم لآخر كان يتم بالعنف وأحيانا بوحشية قليلة النظير. رغم ما كان يمثله عهد الدايات من القوة في المجال الخارجي إلا أن الأوضاع الداخلية لم تكن على ما يرام، وكانت القلاقل طابعا ميّز هذا العهد، وذلك لتحكم العسكر واحتكارهم للسلطة وتناحرهم على الحكم والسيطرة. وكان الجزائريون على الهامش يتفرجون على الأحداث والاغتيالات المتكررة في صفوف الدايات والجنود الأتراك، وانجر عن هذا فشو الفتن والاضطرابات المحلية خاصة بين سكان العاصمة. فقد كان لفقدان حكام الجزائر لقاعدة شعبية تساندهم أن انطبعت نظرتهم تجاه السكان بالحيطة والحذر، فاقتصرت كل المناصب العليا على فئة "الأتراك".

**التنافس الفرنسي الإنكليزي للحصول على الامتيازات بالجزائر:**

من الأسباب الخارجية التنافس الأوروبي للحصول على مزيد من الامتيازات داخل الإيالة، والعمل من جهة أخرى على إضعاف سلطة الدايات، والنهب الذي مارسته بعض الدول الأوربية على السكان. كانت فرنسا تحظى بامتيازات بالشرق الجزائري منذ أن تنازل لها خير الدين بربروسا سنة 1520م، في عهد فرانسوا الأول. كان الغرض منها في البداية السماح للتجار الفرنسيين باستغلال نقطة واحدة من ساحل الجزائر لصيد المرجان، ووقع الاختيار على ما سمي بحصن فرنسا (هو أول حصن يقيمه التجار الفرنسيون على ساحل شمال أفريقيا بموافقة البايلرباي بربروسا) على بعد كيلومترات فقط من القالة. لكن المجهودات الأولى لم تسفر عن نتيجة، إلى أن أُبرم اتفاق آخر سنة 1694م، وأصبح عدد المؤسسات خمس، مقابل إتاوة سنوية قدرها 60 ألف فرنك. وفي سنة 1741م سلمت الحكومة الفرنسية كل الامتيازات للشركة الملكية الأفريقية، واتسع نشاط المؤسسات لتجارة الحبوب والجلود والشموع والصوف...

**إنكلترا:** هذه الأوضاع الرابحة أسالت لعاب إنكلترا، ولإفساد الصداقة الفرنسية الجزائرية لعرقلة الاقتصاد الفرنسي، دخلت إنكلترا في صراع مع فرنسا لإبعادها والإحلال محلها مستعملة جميع الوسائل. وقد تمكنت من ذلك سنة 1806م، لكنها لم تستغل المؤسسات استغلالا مباشرا، بل تركت الحرية فيها لجميع التجار ما عدا الفرنسيين. ثم كان مؤتمر فيينا وحملة إكسموث سنة 1816م، فتغيرت الأوضاع لصالح فرنسا، وألقت السلطات الجزائرية القبض على جميع الرعايا الإنكليز، فاسترجعت فرنسا امتيازاتها سنة 1817م. وستظل في حوزتها إلى أن يصدر الداي سنة 1826م، بيانا يسمح لجميع الأمم بصيد المرجان الجزائري. وهذا الإجراء من الأسباب الرئيسية التي نتج عنها حصار الجزائر سنة 1827م. فقامت بريطانيا بمضاعفة جهودها لعرقلة جميع المشاريع الفرنسية الرامية لاستعمار الجزائر. ولم تعترف إنكلترا بشرعية الاحتلال إلا سنة 1851م.

**هشاشة العلاقات مع المغرب الأقصى (السلطان سليمان) ومع تونس (حمودة باشا):**

من الأسباب الخارجية للثورات تشجيع الجارتين للمناوئين والمعادين من الجزائريين للحكام العثمانيين. فسلاطين المغرب الأقصى عملوا على الإقلال من هيبة الإيالة، وتمكنوا من استمالة أغلب زعماء ثورات القرن 19م. أما تونس فموقفها المساند للثورات كان رد فعل انتقامي على تدخلات حكام الجزائر في الشؤون الداخلية لتونس وتشجيعهم للصراعات الأسرية لاكتساب حلفاء والحصول على امتيازات. وقد توطدت العلاقات بين الجارتين ضد حكام الجزائر، وتوحيد الجهود شجع الفوضى والاضطرابات داخل الجزائر.

**المغرب الأقصى:** قاوم المغرب الأقصى منذ البداية وبإصرار سعي العثمانيين للسيطرة عليه وأصبح ينظر للجزائر على أنها خطر جاثم عليه يجب تفاديه، ومنه التآمر مع أي كان ولو كان مسيحيا. كما أن للمغرب الأقصى أطماع قديمة في غرب الجزائر وتلمسان بصفة خاصة.

**مولاي سليمان (1792م-1822م):** إن حروب درقاوة أفسحت المجال لمولاي سليمان لغزو فجيج سنة 1805م، وتوات سنة 1808م، وانتزع من الدايات جميع بقاع الجنوب الشرقي من إقليم وهران.

كما أزَمت فتنة درقاوة العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى، حتى أن باي وهران بعث للسلطان مولاي سليمان طالبا منه أن يبعث شيخ الدرقاوية ليُعيد الثوار لطاعة المخزن. صحيح أن الدرقاوية لقيت تشجيعا من مولاي سليمان الذي قرَب رجال الدين والشرفاء، فكان انتشار أتباع الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى وغرب الجزائر بمثابة حصن يحمي سياسة السلاطين العلويين من خطر العثمانيين بالجزائر،لكن سلطان المغرب الأقصى لم يكن في وضع يسمح له بمحاربة العثمانيين، فآثر التخلي عن مشروعه، ونصح الشيخ العربي الدرقاوي بصرف النظر. واضطر هذا للتنصل من موقف تابعه، ابن الشريف الدرقاوي، مقدم تلمسان.

إن موقف مولاي سليمان وتحريض باي تونس لابن الأحرش، محاولة لإلحاق أضرار جسيمة بالجزائر، لكن محاولة زعزعة النظام السياسي القائم ما كانت لتفلح إلا إذا وجدت صدى متجاوبا معها من الداخل، بعبارة أخرى كان الجزائريون مرهقين لحد استعدادهم للثورة ضد الطغمة العسكرية التي، بعد أن فشلت في مهمتها، راحت تقوم بدور الدركي في الداخل، مما أضاف لهذا التذمر الشعبي معارضة المجموعات الدينية والعلمية من زوايا وشيوخ وطلاب، وحتى قضاة ومفتيين.

وكان سلطان المغرب الأقصى آنذاك جد متحفظ في تعامله مع الغرب، ومنعته من ذلك روحه المحافظة وطبائعه الدينية المتأصلة، وهو ذاته المزاج الذي جر عليه مشاكل مع بايات الغرب الذين كانوا ينظرون إليه بعين الريبة، خاصة بعد أن بايعه سكان [تلمسان](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A7%D9%86) وفضلوه على البقاء تحت سلطة العثمانيين. وكان سكان تلمسان يدعون للمولى سليمان في الصلاة بالمساجد، وتشبثوا به أميرا للمؤمنين لدرجة أنه نزح عدد ضخم منهم إلى المغرب الأقصى تاركين تلمسان. وتدخل المولى سليمان من أجل الصلح بينهم وبين الداي، فترجاهم السلطان أن يعودوا إلى ديارهم، فخاطبوه بقولهم:"*نذهب إلى بلاد النصارى ولا نجاور الترك ونجمع علينا الجوع والقتل".*

**تونس:** أما تونس فقد اعتبرتها الجزائر إقليما تابعا لها بحكم أنها هي التي طردت الإسبان منه وضمته إلى الدولة العثمانية سنة 1574م. وعلى هذا الأساس كانت الجزائر تحاول باستمرار أن تجعل هذه التبعية حقيقة ملموسة، لكن تونس رفضت ذلك معتبرة أنها تتبع رأسا للأسيتانة. وأكثر من هذا كانت لتونس أطماع في إقليم قسنطينة موروثة من العهد الحفصي.

**حمودة باشا (1782م-1814م):** لقد آوت الجزائر الأخوين علي باي ومحمد باي، بعد مقتل والدهما علي باشا في حوادث ولدي حسين باي تونس سنة 1746م. وبمساعدتهما ومدهما بالذخائر، بالغ حكام الجزائر في التسلط على حكام تونس لحد التضييق على اقتصاديات البلد والتحكم في حكامها، فأعلن حمودة باشا امتناعه عن أداء الضريبة المتفق على قيمتها في وقعة سمنجة سنة 1735م، وزاد على ذلك بإيوائه أحد العصاة ضد الحكومة الجزائرية الحاج مصطفى إنكليز باي قسنطينة المعزول سنة 1803م، وطرد جميع الجزائريين المقيمين بتونس. ولما بعث الداي من يستخلص الضريبة ويفك الأسرى الجزائريين، امتنع حمودة باشا وأعلن نقض المعاهدة، وتحرك إنكليز باي المعزول من تونس لقسنطينة في جانفي سنة 1807م للاستيلاء عليها، لكنه انهزم، واستولى أهل الجزائر على ذخائره وأسروا عددا من جنده في ماي 1807م.

ثم بعث حمودة باشا جيشا آخر في نفس السنة انتصر فيه التوانسة لخيانة وقعت في قيادة الجيش الجزائري. وحدثت مؤامرات بقسنطينة إلى أن تمكن أحمد شاوش القبايلي (1808م) الذي كان لاجئا بزواوة من تنصيب نفسه بايا، لكن الداي تمكن منه عندما كان زاحفا على الجزائر، وجهز جيشا لتأديب حمودة باشا لكن تراجع لِما شاهده من كثرة الجيش التونسي. ووقع الصلح بين الطرفين في نوفمبر 1808م، لكن الحاج علي الشريف داي(1809م-1815م) نقض المعاهدة فاستؤنفت الحرب. غير أن القلاقل التي عاشتها الجزائر جعلت الجيش الجزائري ينسحب من تونس. وتدخل السلطان العثماني لإنهاء حالة الحرب هذه سنة 1817م. وأسفرت المفاوضات بين الطرفين على اتفاقية مؤاخاة وصلح دائم مستمر، ورد الجزائريون ما كان احتلوه من التراب التونسي إلى أهله، وكان ذلك يوم 20 مارس 1821م.

لهذا يعتبر دور تونس والمغرب الأقصى مساندا للثوار ضد حكام الجزائر، وذلك بمدهم بالدعم الروحي والمادي.

**استحواذ اليهود على النفوذ داخل السلطة:**

كان النهب والاستنزاف لخيرات البلاد في شكل امتيازات، وشجع الدايات والبايات ذلك، بعد أن وجدوا فيه مصدر للربح والثروة، التي كانوا يستخدمونها في استتباب الأمن والمحافظة على النظام وزيادة ثرواتهم، لهذا سلّموا شؤون الإيالة لهيئات ومؤسسات أجنبية، وعلى رأسها الشركة اليهودية.

من الأسباب الداخلية للثورات الدور الكبير والخطير الذي أدته الطائفة اليهودية في تخريب الاقتصاد الوطني واستنزاف موارده. وازدياد نفوذ هذه الطائفة أدى لاستنكار وسخط شعبي بلغ ذروته في ثورات قادها السكان ضد أفراد هذه الطائفة.

كما احتكر الفرنسيون التجارة الخارجية مدة طويلة، ولما تفطن بايات قسنطينة لأهمية الأرباح التي تدرها التجارة، تعاطوها مباشرة، أو سمحوا للتجار الأجانب بمزاولتها في الشرق الجزائري مقابل منافع وإتاوات مختلفة. وكان أخطر منافس لفرنسا في هذه التجارة اليهود، بما لهم من نفوذ لدى دايات الجزائر وبعض بايات الشرق، وبما لهم من اطلاع على لغة السكان وعاداتهم وتقاليدهم من جهة، ومن اتصالات مع العالم الخارجي وخاصة دويلات إيطاليا من جهة أخرى.

بدأ ذلك عندما استقرت عائلات يهودية من ليفورن بالجزائر منذ القرن 18م(أسرة بوجناح (اشتهر منها نفتالي) وأسرة ابن زقوط بكري(اشتهر منها يعقوب))، ووجهت نشاطها نحو أوروبا. ركزت نشاطها بالشرق الجزائري منافِسة بذلك الشركة الملكية الأفريقية، وتمكنت من الاستئثار برعاية الداي بابا حسن(1791م-1798م) وابن أخته الداي مصطفى(1798م-1805م)، وذلك لأن عيونهم كانت منتشرة في أنحاء البلاد تزودهم بجميع المعلومات المتعلقة بتحركات القبائل والبايات. كما أن الحكام لم يكونوا يخشون من اليهود الاستيلاء على الحكم لاحتقار السكان لهم. وبفضل هذه الثقة جمع هؤلاء اليهود أموالا طائلة، ونقلوا نشاطهم لمختلف موانئ الشرق لازدهار التجارة به. وأصبح نفتالي مستشارا لدى الداي حسن، حظي بالسطوة والسلطان، وعرف كيف يستفيد من منصبه.

وقد تمكن اليهوديان من تحقيق بعض مآربهم على إثر تعيين صنيعتهم مصطفى الوزناجي، باي التيطري سابقا، بايا لقسنطينة (1795م-1798م)، ثم حينما استسلمت لهم الوكالة الأفريقية (الفرنسية) سنة 1796م، وصارت تلجأ إليهم للقيام بسائر أنواع نشاطها، لتسلم من مهاجمة المهاجرين الفرنسيين أنصار النظام القديم(النظام الملكي)، ولتحمي بضائعها من الإسبان والإنكليز، وأخيرا، عندما وضع الداي تحت تصرفهم مينائي القل وجيجل، وشجعهم على التركز في عنابة، أهم معاقل الشركات الفرنسية.

وبهذا أصبحت التجارة في عهد الدايين حسن ومصطفى في أيدي اليهود، وفي خدمة مصالحهم، لأنهم عرفوا كيف يستفيدون من الخلافات الدولية، واستطاعوا كسب عددا من الشخصيات ذات الوزن الثقيل سواء بواسطة الرشوة أو بتقديم خدمات، إضافة لمهارتهم في تسويق أسوأ البضائع ومخادعة رجال الجمارك. وأصبح بوجناح يفاوض باسم الجزائر مع ممثلي تلك الدول: يسالم من يشاء ويعلن الحرب ضد من أراد محاربة نفوذه التجاري. كما كان يتعامل مباشرة مع جميع قناصل البلدان الأجنبية ويفي دائما بما يعد. وقد ساعد الداي مصطفى اليهود في الحصول على كثير من الامتيازات، ما خوَلهم التصرف في تسيير الاقتصاد الجزائري.

وعندما ضربت المجاعة البلاد سنة 1805م، كانت شركة بكري-بوجناح ترسل الحبوب الجزائرية لفرنسا، ما أغضب المليشيا المتذمرة من تصرفات اليهود، فقتل أحد عناصرها نفتالي، ورغم محاولات الداي مصطفى تهدئة المليشيا بوعده طرد جميع اليهود من الجزائر، وحجز سائر ممتلكات بوجناح، غير أن المليشيا قتلته. لكن تمكن بكري من التقرب من الداي الجديد أحمد خوجة (1805م-1806م).

لقد استطاعت شركة بكري وبوجناح، بفضل ما قدمه مُسيرِيها للدايات من معلومات تتعلق بشؤون الإيالة في الداخل والخارج، والهدايا الثمينة والمساعدات المالية التي كانوا يوزعونها بحكمة على كل من يمكن استغلاله في جميع المستويات، ونظرا لوضعهم الاجتماعي الذي كان لا يسمح لهم بالاستيلاء على مناصب الحكم، استطاعوا، مع بعض الدايات، أن يحرزوا على سلطة واسعة لم يسبق لأحد من الأقليات أن حصل عليها، وأن يسخروها لخدمة مصالحهم غير مبالين بأي خسارة للجزائر.

**خلاصة:**

أهم الأسباب التي دفعت القبائل للثورة هي:

1/ الضرائب.

2/ تمسك القبائل باستقلالها.

3/ عوامل طارئة.

كانت ثورات القرن 19م شاملة منظمة، على عكس سابقتها التي كانت جهوية محدودة الانتشار، ومرد ذلك للعصبية التي منعت أي تحالف بين مختلف القبائل الثائرة، هذا سهّل على الحكام القضاء عليها. أما ثورات القرن 19م فكانت أكثر شمولية وتنظيما وخطورة، لهذا وجد الحكام صعوبة في القضاء عليها، وأنهكت قواتهم العسكرية. وسبب ذلك هو تزعم شيوخ الطرق الصوفية لهذه الثورات، وهم فئة تمتعت بالنفوذ المادي والروحي على الجزائريين.